وتطلق الأشعرية في مقابل الماتريدية غالباً ، ويطلق لفظ الأشاعرة في مقابل المعتزلة ، ويشمل لفظ الأشاعرة غالباً: الأشعرية والماتريدية ، وإذا أطلقت الأشاعرة في مقابل الحكماء فالمراد بها جميع المتكلمين[1].

أولاً ـ نشأة الأشعرية:

ظهرت الأشعرية كمذهب في الوقت الذي اشتد فيه أمر المعتزلة عقائدياً وسياسياً ، وهجوماً على الفقهاء والمحدثين ، وتشتت الناس أمام المعتزلة ، وكثرت الفرق الصغيرة للرد عليها.

وكان أبو الحسن الأشعري معتزلياً في أول أمره ، فدرس كتبهم وأفكارهم وأساليبهم في الجدال والنقاش ، ثم تبرأ منهم ، واستخدم أسلحتهم في الرد عليهم ، وكشف باطلهم ، وتأييد الاعتقاد الصحيح ، ومبادىء الإيمان الكامل ، والفكر الإسلامي الثابت ، وقام بمواجهة المعتزلة ، وتزييف آرائهم ، لبيان الحق والصواب حتى نسب المذهب إليه ، مع أنه كان موجوداً قبله ، واجتمع حوله معظم المسلمين ، وأيده العلماء والفقهاء والمحدثون ، وصارت آراؤه تتردد في المحافل العلمية والأوساط الدينية.

وظهر في نفس الوقت إمام الهدى الشيخ أبو منصور محمد بن محمد ابن محمود الماتريدي الذي ولد في منتصف القرن الثالث الهجري ، وعاصر أبا الحسن الأشعري ، ولكنه كان في سمرقند وبلاد ما وراء النهر ، وتوفي سنة ٣٣٣هـ ، وتصدى للمعتزلة ، وناصر الفقهاء والمحدثين بمنهاج خاص ، والتقى مع الأشعري في كثير من النتائج[2].

---

(١) دستور العلماء ١/١١٨.

(٢) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية ، أبو زهرة ص ٢٠٧ ، تبيين كذب المفتري ص ١٩ ، الفوائد البهية ص ٩٥ ، الجواهر المضيئة ٢/١٣٠ ، الأعلام ٧/٢٤٢ ، ومرجع العلوم الإسلامية ص ٣٣٩.

وصار الأشاعرة والماتريدية يمثلان مذهب أهل السنة والجماعة عند المسلمين في أمور الإيمان والعقيدة والتصوير الإسلامي عن الإنسان والكون والحياة ، وهو ما جاء صريحاً في القرآن الكريم والسنة النبوية ، والتقى عليه أصحاب رسول الله ﷺ وسلف الأمة وخلفها ، ويلتزم به الغالبية العظمى من المسلمين في القديم والحديث.

وهذان المذهبان لم يأتيا بجديد في العقيدة الإسلامية ، ولم يبتدعا رأياً إضافياً عليها ، وإنما سعيا إلى تثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة ، الواردة في القرآن والسنة ، وتبناها المسلمون سلفاً وخلفاً ، مع إزالة ما علق بها من تأثير التيارات الوافدة ، والشبه المثارة ، والآراء الدخيلة ، والبدع الطارئة ، والتأثيرات الجانبية من الحضارات القديمة ، والمبادىء الغريبة التي أخذت بها المذاهب الاعتقادية الأخرى كالمعتزلة والمرجئة والقدرية والجبرية والحشوية والمجسمة وغيرها مما يعرف بمذاهب علم الكلام[1].

قال الشيخ أبو القاسم القشيري: «اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه كان إماماً من أئمة الحديث ، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث ، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة ، ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة ، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين من الملة سيفاً مسلولاً[2].

---

(١) عرف ابن خلدون علم الكلام بأنه «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة» (مقدمة ابن خلدون ص ٤٥٨). انظر: مرجع العلوم الإسلامية ص ٣٢٣.

(٢) تبيين كذب المفتري ، لابن عساكر ، ص ١١٢.

وقال ابن السبكي: «اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأياً ، ولم ينشىء مذهباً ، وإنما هو مقرر لمذاهب السلف ، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ ، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريقة السلف نطاقاً ، وتمسك به ، وأقام الحجج والبراهين عليه ، فصار المقتدى به في ذلك ، السالك سبيله في الدلائل ، يسمى أشعرياً»[1].

وقال ابن خلكان: «هو صاحب الأصول ، والقائم بنصرة مذهب أهل السنة ، وإليه تنتسب الطائفة الأشعرية»[2] ، ثم نقل عن الصيرفي «كانت المعتزلة قد رفضوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم».

وقال ابن العماد: «وقد بيض الله به وجوه أهل السنة النبوية ، وسود به رايات أهل الاعتزال والجهمية ، فأبان به وجه الحق الأبلج»[3].

فالأشعري لم يخترع لنفسه مذهباً خاصاً ، وإنما اعتنق ما كان يعتقد به جماهير المسلمين من علماء الحديث والفقه ، وسائر الصحابة والتابعين ، مما ثبت في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وأن المعول عليه عند الاختلاف هو القرآن والسنة وإجماع المسلمين.

ولكن نسبت هذه العقيدة إليه لأنه قام بالدفاع عنها في وجه أهل الزيغ والضلال وأصحاب البدع وآراء الفرق الأخرى ، وتزييف أقوالهم المخالفة للإسلام ، فانتشر اسمه في الآفاق ، وسمي بمذهب أهل السنة والجماعة ، وأقام أتباعه وتلاميذه وأنصاره على أسلوبه ومنهجه ومسلكه

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ، لابن السبكي ٤/ ٣٦٥.
(٢) وفيات الأعيان ، لابن خلكان ٢/ ٤٤٦.
(٣) شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ٢/ ٣٠٣.

وآرائه في بلاد العراق وخراسان والشام وبلاد المغرب وشمال إفريقية وصقلية والأندلس.

وجاء القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، فنصر مذهب الأشعري ، وأيد اعتقاده ، ورسخ منهجه ، وأضاف إليه المقدمات المنطقية والعقلية التي تتوقف عليه الأدلة والأنظار[١] ، وصاغها في قواعد وأقيسة ، «وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها ، لتوقف تملك الأدلة عليها ، وإن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول»[٢] ، وصنف عدة كتب في ذلك ، وسار على نهجه إمام الحرمين الجويني ، وأملى في الطريقة عدة مصنفات ، وجاء حجة الإسلام الغزالي فوجد أن هذه المقدمات والأدلة مقتبسة من كلام الفلاسفة فخفف من غلوائها ، وأكد أن بطلان المدلول لا يثبت من بطلان دليله المنطقي الفلسفي ، وغلب الأدلة النقلية ، ثم أفرد الرد على الفلاسفة ، وسار علماء الأشاعرة على عرض أمور العقيدة متأثرين بهذه الاتجاهات ، والجمع بينها أحياناً ، أو تغليب إحداها على الأخرى أحياناً أخرى[٣] ، ويعتبر كتاب «طوالع الأنوار» للقاضي البيضاوي خير مثال على الجمع بين الطرق السابقة ، ونال شهرة كبيرة ، ومكانة عالية ، حتى قال فيه ابن السبكي «وأما الطوالع فهو عندي أجل مختصر في علم الكلام»[٤].

واستمر المذهب الأشعري في الازدهار ، والتلقي والتدريس والتدوين ، حتى القرن الثامن الهجري ، فصار شائعاً ومنتشراً في أروقة

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٥.
(٢) المرجع السابق.
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٦.
(٤) طبقات الشافعية الكبرى ص ٨/ ١٥٧.

الجامعات والمساجد والمدارس ، وسار الهوينى بعد ذلك مستقراً بين المسلمين بدون منازع تقريباً كما سنرى في مكانة الأشعرية .

ثانياً ـ مبادىء الأشعرية :

ويظهر مما سبق أن عرض آراء الأشعرية ومبادئها أنها هو بيان للعقيدة الإسلامية ، من جهة ، وبيان موقف الإسلام من الآراء الجديدة التي أثارتها المذاهب الأخرى من جهة أخرى ، وأن وظيفة الأشعرية وهدفها هو تأكيد ما يعتقده أهل السنة ، ورجال الحديث والعلماء في مسائل أصول الدين ، وهو ما ورثوه عن جيل التابعين ، وورثه التابعون من الصحابة ، مأخوذاً من نصوص الكتاب والسنة ، وقد توارى جانب منه في خضم المناقشات الكلامية ، والخلافات المذهبية الوافدة ، التي أثارها المعتزلة وغيرهم ، مع شيوع البدع ، والفهم الخاطىء ، والتصور المنحرف عن الدين والإسلام ، فجاء أبو الحسن الأشعري ليجدد الدعوة إلى العقيدة الصحيحة ، ويكشف الستار عن البدع والأهواء والآراء الدخيلة ، وهو ما فعله الشيخ أبو منصور الماتريدي فيما وراء النهر ، فكل منهما تصدى للذود عن عقيدة أهل السنة والجماعة بالمناهج العقلية والحجج المنطقية والأدلة النقلية ، ونسبت هذه المبادىء لهما وانتشرت آراؤهما ، فكانا إمامي أهل السنة والجماعة في مشارق الأرض ومغاربها ، مع اختلاف بينهما في جزئيات محدودة لا تتجاوز بضع عشرة مسألة[1] .

---

(١) الخلاف بين الأشعرية والماتريدية ينحصر في مسائل جزئية اجتهادية تتصل بهوامش المبادىء الاعتقادية المتفق عليها ، وأكثرها خلاف لفظي واصطلاحي لا طائل تحته ، ولا علاقة لها بجوهر المعتقدات الأساسية ، وحصرها بعض العلماء في عشر مسائل ، وجمعها ابن السبكي في ثلاث عشرة مسألة ، منها ست مسائل فيها خلاف معنوي ، والباقي لفظي ، وزادها الشيخ زادة إلى أربعين ، بما فيها الخلافات الفلسفية والعقلية البحتة والمنطقية ، وجمعها في كتابه «نظم =